

صفحات من العسكرية العربية الإسلامية المثنى بن حارثة الشيباني

■ بقلم الاستاذ مصطفى محمد هديب

في عهد ابي بكر الصديق رضي الله عنه انبعثت الأمة العربية بالاسلام، وانبعثت العسكرية العربية، عندئذ بالجهاد في سبيل الله، فكان لها شرف حمل الاسلام الى الناس كافة، لتعلو راية التوحيد في الأرض بعد ان لوثتها أوضاع الشرك قروناً عديدة!!.

ولقد أذهل الجهد الجهادي الاسلامي امم الأرض، لما رافقه من توفيق الله نفض عنه سكوناً قديماً متواصلاً، وأينع حركة بناء وتفاعل أقامت دولة الاسلام، من الصين شرقاً الى فرنسا غرباً!

آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم
الأشهاد ﴿غافر: ٥١﴾ .

ويقول عز وجل: ﴿وعد الله الذين آمنوا
منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في
الأرض كما استخلف الذين من قبلهم

لقد غلب هذا الجهد المتميز -الذي قام
بدعوة الاسلام الى عبادة الله واحداً واحداً
لا شريك له- أقوى دولتين في العالم
حينذاك، فارس والروم! وقد كان لذلك
عنوان واحد: ﴿إنا لننصر رسلنا والذين

الكاسرة، يحطمون الأوثان، ويهدمون قلاع
الشرك، ويرفعون راية التوحيد!!.

وفي كل جهد بشري منظم، لا بد ان
يكون له وفيه بعد العقيدة قادة أمناء
وأوفياء وأكفاء، لهم من القدرة العقلية
والبدنية نصيب وافر ولديهم من قدرات
القادة في سياسة الأفراد وإدارة الحرب
والدهاء والحكمة ما يقدرون به بعد توفيق
الله وعونه ان يحققوا النصر على الاعداء
لتعلو ارادة الله سبحانه وتعالى على ما
وعدا.

وعلى مسرح القيادة العسكرية، ظهر
خالد بن الوليد وسعد بن ابي وقاص وابو
عبدة وطارق بن زياد وكثير غيرهم ومن
أولئك القادة.. المشى بن حارثة الشيباني،
قائد كريم، وبطل مغوار، وسيد في
الجاهلية والاسلام، وفي سيرته العطرة
يبهرك المشى بحماسة وإرادته وشجاعته
المنقطعة النظير، وكفاءته في القيادة
وتبسطه مع جنوده، وصدقه وانضباطه
الفذ، الشهيد، بطل معارك الاسلام في
العراق، الذي مثل ارادة التحدي والدعوة
الخالصة لله عز وجل.

انه المشى بن حارثة بن سلمة بن
ضمضم بن شيبان، بن بكر بن وائل بن

وليتمكن لهم دينهم الذي ارتضى لهم
وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً يعبدونني لا
يشركون بي شيئاً ومن كفر بعد ذلك
فأولئك هم الفاسقون» النور: ٥٥ .

ان آفة الشرك التي جاء الرسل كلهم
الى أممهم بإسقاطها من الاعتقاد مع الله
سبحانه وتعالى هي عنوان الكفر وهي من
اعظم الذنوب التي استوجبت غضب الله
سبحانه وتعالى وبعث الأنبياء بالتوحيد:
﴿وما أرسلنا قبلك من رسول الا نوحي إليه
أنه لا إله الا أنا فاعبدون﴾! نعم توحيد
الله سبحانه وتعالى وعبادته على ما أمر
وشرع ذلك هو عنوان كل دين سماوي بعث
به الرسل.

وفي الشرك -ذلك الذنب العظيم- قال
الحق: **﴿ومن يشرك بالله فكأنما خر من**
السما فتخطفه الطير او تهوي به الريح
في مكان سحيق﴾ الحج: ٣١، وفي بشاعة
الشرك واستحقاق معتقده العذاب، يقول
سبحانه وتعالى: ﴿ان الله لا يغفر ان
يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾.

وبهذه العقيدة الصافية من الشرك،
وهذا الاسلام الذي كان القرآن الكريم
منارته، والهدي النبوي مرشده، اندفع
المسلمون من ارض العرب كالأسود

ربيعة، القبيلة العربية التي كانت تسكن ما بين اليمامة والبحرين حتى اطراف السواد من ارض العراق.

كانت قبيلة بدوية تسكن الخيام، ولا تعرف لها سكن مدني ولما كانت ارضها كثيرة الجذب، فقد كانوا دائماً في حرب مع جيرانهم من القبائل العربية كتغلب وتميم.

وقد كانت العرب أمة مستضعفة قبل الاسلام، وقد أوكل الفرس بهم المناذرة في العراق، كما أوكل الروم بهم الغساسنة ليكفوهم أمرهم استصغاراً لشأنهم!! ولقد التقى العرب الفرس قبل الاسلام في وقعة ذي قار، وانتصروا عليهم وكانت ارهاصاً لانبعاث الأمة العربية بالاسلام، وقد قال رسول الله ﷺ وقد وصله خبر ذلك النصر: «ذلك يوم انتصفت فيه العرب من العجم وبني نصر»!!.

♦ المشى على مسرح التاريخ الاسلامي:

من يستعرض ما لقيه الرسل الكرام عليهم السلام من أقوامهم اذ بعثوا فيهم يدعون الى توحيد الله وعبادته على ما أمر وشرع، لا يجد فيما عاناه رسول الاسلام محمد بن عبد الله ﷺ أمراً مستغرباً!!.

لقي رسول الله ﷺ من قومه في مكة ومن آمن معه، الاستهزاء والتكذيب والايذاء، بالقول والفعل ولقي ﷺ الصد الشديد لدعوته الى الله وبيان ذلك للناس. وهاجر المسلمون الى الحبشة مرتين هرباً من الأذى والفتنة ولاحقتهم قريش حتى هناك ولكن الله افشل كيدهم، ثم هاجروا الى المدينة المنورة ليجد الاسلام عربياً يؤوي اليه ومنعة، وقبل ذلك ذهب رسول الله ﷺ يدعو اهل الطائف الى الاسلام والى نصرته فكذبوه وخذلوهم وعاد الى مكة بعد ان آمنه المطعم بن عدي! وأخذ رسول الله ﷺ يتصل سراً بوفود الحج لعله يلقي من يؤمن به ويسنده وينصره.

ويخرج ليلة في موسم الحج برفقة ابي بكر وعلي بن ابي طالب ويلقون قوماً وبادرهم أبو بكر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «ممن القوم؟ قال أحدهم: من شيبان بن ثعلبة! ويلتفت ابو بكر الى رسول الله ﷺ: «بأبي انت وأمي هؤلاء غرر في قومهم! كان فيهم معزوق بن عمر، وهانئ بن قبيصة، والمثنى بن حارثة، والنعمان بن شريك! وكان معزوق قد غلبهم لساناً وجمالاً، وسأل أبو بكر معزوقاً: كيف العدد فيكم؟ إنا لنزيد على الألف، كيف

وتابع المثني.. «أما ما كان من أنهار كسرى فذنب صاحبه غير مغفور وعذره غير مقبول وأنا انما نزلنا على عهد أخذه كسرى علينا ان لا نحدث حدثاً ولا نؤوي محدثاً واني ارى هذا الامر الذي تدعوننا اليه مما تكره الملوك، فإن أحببت ان نؤويك وننصررك مما يلي مياه العرب فعلنا».

فقال ﷺ: «ما أسأتم في الرد اذ أفصحتم في الصدق وان دين الله عز وجل لن ينصره الا من حاطه من جميع جوانبه»، وانفض المجلس، وأبطأت شيبان، وهاجر رسول الله ﷺ من مكة الى المدينة، وفي السنة التاسعة للهجرة، جاءه وفد شيبان وأسلموا بين يديه ﷺ وكان فيهم المثني بن حارثة، ومن تلك اللحظات طوى المثني صفحة الجاهلية وما كان فيها ونشر صفحته الاسلامية يحمل لواء الاسلام مجاهداً مقدماً لا يشق له غباراً!

وفي خلافة ابي بكر جاء المثني وطلب منه ان يجعله قائداً على من أسلم من قومه ليقاتل بهم من يليه من الفرس، فأذن له.

وما كان لهذا المجاهد المقدم ان يقاتل

المنعة فيكم؟ علينا الجهد ولكل قوم جد! ثم قال معزوق: لعلك أخا قريش؟ قال ابو بكر: أوبلغكم انه رسول الله ها هو ذا، ويسأل معزوق إلام تدعو يا أخا قريش؟ قال ﷺ: ادعو الى شهادة ان لا إله الا الله وحده لا شريك له واني رسول الله وان تؤوني وتتصروني فإن قريشاً قد تظاهرت على أمر الله وكذبت رسوله واستغنت بالباطل عن الحق والله هو الغني الحميد».

وتلا عليه قوله تعالى: ﴿قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا بالله شيئاً﴾.. الآية، واستزاده فقراً عليه: ﴿ان الله يأمر بالعدل والإحسان﴾.. الآية فقال معزوق: «أفك قوم كذبوك»!

وانتقل الكلام الى هانئ فلم يتعجل قبول الاسلام، وطلب ان ينظر ليشاور قومه، وصار الكلام الى المثني «شيخنا وصاحب حربنا» فقال المثني: «قد سمعت مقالتك يا أخا قريش والجواب فيه هو جواب هانئ بن قبيصة في تركنا ديننا ومتابعتنا دينك وأنا انما نزلنا بين صريين أحدهما اليمامة والآخر السمامة، فسأله رسول الله ﷺ: «ما هذان الصريان؟» قال المثني: «انهار كسرى ومياه العرب»!

اما كسرى فارس فقد مزق الرسالة وأرسل لعامله على اليمن: «ان ارسل محمداً هذا اليّ لأرى رأيي فيه» وقد كان رسول الله ﷺ قد دعا «ان يمزق الله ملكه»!

ويجيء عامل كسرى الى المدينة ويقول: «ان ربي أمرني ان أرسلك اليه»! ويجيب عليه رسول الله ﷺ: «ان ربي أخبرني ان ربك قد قتل»! وعاد الرجل أدراجه الى اليمن فوصله الخبر بصدق رسول الله ﷺ وأسلم!

ويتوجه خالد بن الوليد من اليمامة، - وفي قول من المدينة- الى العراق وهذا ما يرجحه المؤرخون بأمر الخليفة! وأمر المشي ومن معه من المجاهدين ان ينضموا الى جيش خالد وتحت إمرته، ومثل المشي جندي مطيع، ولم يؤثر عنه الا الطاعة والرغبة الصادقة في الجهاد!

وبلغ عدد المقاتلين تحت إمرة خالد (١٨ ألفاً)، وقبل «الأبلة» وهي بلدة مكان البصرة الآن، فرّق خالد جنده عدة فرق فسرّح المشي قبله بيومين، ودليله ظفر، وسرّح عدي بن حاتم وعاصم بن عمر ودليلهما مالك بن عباد، وسالم بن نصر، احدهما قبل صاحبه بيوم، ثم خرج خالد

بدون إذن، وهذه احدى سمات الجندي الأمين الطائع الذي لا يدل بمواهبه ولا بقدرته القتالية ولا بحس رأيه فلا ينفرد بأمر دون قيادته، وسنجد هذا الخلق سنداً في حياته بعد ذاك صماماً له من الفتنة.

وبدأت أخباره تصل من ميدان الفعال.. فيقول ابو بكر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «من هذا الفارس الذي تصلنا أخباره؟ فيقول قيس بن عاصم: هذا رجل غير خامل الذكر، ولا مجهول النسب، ولا ذليل العماد، انه المشي ابن حارثة».

وتنتهي حروب الردة ويعود الاسلام الى الجزيرة وتعلو رايته لتعلنها دولة واحدة وانتهت القتامة وعادت الدولة الواحدة التي تدين بالاسلام ولها جيش واحد وقيادة سياسية واحدة على ما تركها عليه رسول الاسلام ﷺ قبل وفاته.

ويخشى ابو بكر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ان العرب اذا لم ينشغلوا بأمر الدعوة ان تفعل فيهم ذكريات الحرب فلا تؤمن الفتنة، ووجه رَضِيَ اللهُ عَنْهُ الجيوش المقاتلة الى العراق والى بلاد الشام بعد ان رفض قائدا البلدين «فارس والروم» الدعوة الى الاسلام، كما جاءت في كتابي رسول الله ﷺ اليهما.

وتخذل وإياك ان تدل بعمل فإن الله عز وجل له المن وهو ولي الجزاء».

ثم أمره ان يخرج في شطر من الناس، وان يخلف على الشطر الباقي المثنى بن حارثة، وفي ختام كتابه جاء فيه: فإذا فتح الله عليكم فارددهم الى العراق، وانت معهم، ثم انت في عملك».

❖ المثنى يواجه الفرس في العراق:

اصبح المثنى مسؤولاً عما حرره المسلمون من العراق، وعليه ان يحتفظ بما بين يديه، وان يحارب الفرس لذلك، والخليفة يعلم ان معه نصف جند خالد، وهو يستشعر هذا النقص، لكن ذلك لم يفت في عضده.

ودع المثنى خالداً ويمم خالد الى بلاد الشام يقطع باديته في مغامرة من اعظم المغامرات الحربية في التاريخ، وقد كان توفيقاً من الله ان اعثر دليلهم على اصل شجرة في الارض وجد عندها الماء كان مر بها قبل ثلاثين عاماً! ووصل خالد رضي الله عنه الى اليرموك.

ولم يسترح المثنى ولا جيشه، الا وسمعوا ان الفرس قد جمعوا لهم (١٠ آلاف) مقاتل، وهم متوجهون نحوهم!

ودليله رافع، وواعدهم «الحفير» ليجتمعوا به وليصادموا عدوهم.

ومن الحفير الى الكاظمية، وهناك دارت معركة شرسة سميت «بذات السلاسل» انتصر فيها المسلمون وسار المسلمون الى موقع الجسر الأعظم على الفرات حيث تقع البصرة اليوم، وسبى خالد أولاد المقاتلة وأقر من لم ينهض من الفلاحين، وجعل لهم الذمة، وبلغ سهم الفارس في يوم «ذات السلاسل» ألف درهم خلا السلاح.

وخاض المسلمون معارك كثيرة حتى تحرر شق السواد من الغماس اذ كان النصر حليف المسلمين فيها كلها، وكان قائد الجيش خالد بن الوليد وكان المثنى أحد أفراد هذا الجيش، وذلك في العام ١٢هـ وعندما جاء امر الخليفة ابي بكر رضي الله عنه الى خالد ان ينجد جيوش المسلمين الاربعة في بلاد الشام قسم جيش العراق الى نصفين، وكان خالد قد عاد من الحج سراً، وعندما علم ابو بكر رضي الله عنه بذلك أمره ان لا يعود لمثلها، وكانت رسالة الخليفة «ان سر حتى تأتي جمع المسلمين باليرموك فليهنك ابا سليمان النية والخطوة، فأتهم يتمم الله لك، ولا يدخلنك عجب فتخسر

وحده، وهم اهل الضراوة بهم، والجرأة عليهم».

وصار عمر بن الخطاب رضي الله عنه أميراً للمؤمنين، وندب الناس الى العراق مع المثنى، فلم يجبه أحد، وثقل الأمر عليه وعلى المثنى، الذي ألح عليه بأن يسمح لمن تاب من الردة ان يقاتل.

ويقف المثنى خطيباً في المسلمين: ايها الناس لا يعظمن عليكم هذا الوجه «قتال الفرس» فإننا قد تبجحنا ريف فارس، وغلبناهم على خير شقي السواد، وشاطرناهم ولننا منهم، واجترأ من قبلنا عليهم، ولها ان شاء الله ما بعدها».

وسمع ابن الخطاب قول المثنى وحسن أثره في الناس، فقام فيهم خطيباً: «ان الحجاز ليس لكم بدار الا على النجفة «طلب الكلاء» ولا يقوى عليه أهله الا بذلك، أين المهاجرون عن موعود الله، سيروا في الارض التي وعدكم الله في الكتاب ان يورثكموها...».

وظل المسلمون محجمون عن تلبية النداء، الى ان كسر ذلك الحاجز عمرو بن مسعود الثقفي رضي الله عنه.

يتبع في العدد القادم ان شاء الله

خرج المثنى وأقام ببابل ومعه على مجنبيه شقيقاه: المعنى ومسعود، وجاءه خطاب كسرى شهريار ورد عليه المثنى، ودارت في بابل «الموصل الآن» معركة بين المسلمين والفرس بقيادة هرمز، وسمي ذلك اليوم بيوم «النمارق» وهزم فيه الفرس هزيمة نكراء.

ولكن المسلمين لم يستطيعوا ان يحتفظوا بكل ما غنموه من سواد العراق، فارتد المثنى الى الحيرة وتحصن بها، ومع النصر الذي حققه في المعركة ببابل الا انه أثر التحصن بمواقعه الأولى خشية ان يباغت!

وهكذا كتب لأبي بكر يستأذنه في الاستعانة بمن ظهرت توبتهم من أهل الردة، فلما أبطأ عليه رد الخليفة استخلف بشير بن الخصائصية على من بالعراق من المسلمين، وذهب الى المدينة يعرض موقفه.

ودعا ابو بكر عمر رضي الله عنهما وأوصاه: «اسمع يا عمر ما أقول لك ثم اعمل به: اني لأرجو ان أموت من يومي هذا، فإن انا مت، فلا تمسين حتى تندب الناس مع المثنى وان تأخرت الى الليل فلا تصبحن حتى تندب الناس مع المثنى، وان فتح الله على أمراء الشام فاردد اصحاب خالد الى العراق فإنهم أهله وولاة امره